مناهج السير والسلوك عند الشيخ آية الله جوادي الآملي

طالب الدكتوراه جبار عطيه بخاخ منصوري
جامعة المصطفى العالمية ـ كلية الحكمة والاديان ـ قسم العرفان الاسلامي ـ إيران
abdaljabbarm2018@gmail.com
الدكتور محمد مهدي گرجيان
الأستاذ في جامعة المصطفى العالمية ـ كلية الحكمة والاديان ـ قسم العرفان الاسلامي ـ إيران
mm.gorjian@yahoo.com

Methods of Spiritual Wayfaring According to al-Shaykh Ayatullah Jawadi Amuli

PhD student Jabbar Attia Mansouri
International university al Mustafa , College of Wisdom and Religions , Department of Islamic Irfan , Iran
Dr. Muhammad Mahdi gorjian
Professor in International university al Mustafa , College of Wisdom and Religions , Department of Islamic Irfan , Iran

الملخص:

تعرضنا في هذه المقالة الى مبحثين مهمين وهما المنهج الفردي للسير والسلوك والمنهج الاجتماعي .

اما في المبحث الاول ذكرنا المنازل والمقامات عند الشيخ جوادي الآملي حيث سار فيها على نهج الخواجة نصير الدين الطوسي حيث اتفق معه في بعض المنازل وخالفه في بعضها وفصّل في البعض الآخر .

حيث تكلمنا اولا عن اليقظة ثم الطهارة ثم التوبة ثم الرياضة ثم المراقبة والمحاسبة ثم التقوى ثم بعد هذه المراحل تأتي المقامات الوسطى في السير والسلوك وهي الايمان والثبات والنية والصدق والانابة والاخلاص والخلوة. الخوف والحزن والرجاء والصبر والارادة والشوق والمحبة والمعرفة واليقين والسكون والتوكل. ثم تأتي المنازل التي تترتب على الحب الآلهي وهي الرضا والتسليم والتوحيد والاتحاد الشهودي ثم الوحدة ثم الفناء وهو الهدف من السير والسلوك.

اما المبحث الثاني. وهو المنهج الاجتماعي للسير والسلوك وهي المراحل الخمسة [المعرفة والهجرة والسرعة وسبق الآخرين والامامة] وهذا المنهج من ابتكارات وروائع الشيخ جوادي الآملي السلوكية والحق والانصاف انه قد ابدع في هذا المنهج السلوكي. وكذلك هو منهج قرآني خالص وخاصة مبحث المعرفة التي تجعلها ارضية واسعة ومتينة للسير والسلوك .

الكلمات المفتاحية: السير والسلوك، المقام، الحال، الفناء، الشيخ جوادي الآملي.

Abstract:-

In this paper, we have presented two pertinent discussions: the individual method of spiritual wayfaring and the social method. As for the former, we have enumerated the spiritual way-stations and levels according to Ayatullah Jawadi Amuli, for he has adopted the same method as that of Shaykh Nasir al-Din al-Tusi, save with some differences. For example, he has differed with him in some of the way-stations and in some of their details as well.

We have sequentially explained the stations of wakefulness, followed by spiritual purity, followed by spiritual return, followed by spiritual exercise followed by self-vigilance, followed by self-accounting, followed by God-wariness. Then after these spiritual levels come the middle stations of spiritual wayfaring, which are faith, steadfastness, intention, truthfulness, turning to God, sincerity, seclusion, fear, sorrow, hope, patience, volition, desire, love ،gnosis, certainty, serenity, trust. Then come the stations that result from love for God which are satisfaction, submission, unification, intuitive unity ،oneness, followed by annihilation, and that is the purpose of spiritual

wayfaring .As for the second discussion, which is the social method of spiritual wayfaring, they are in five levels: gnosis, migration, swiftness, overtaking others, and leadership. This method is from the innovations and beautiful presentations of spiritual wayfaring of Ayatullah Jawadi Amuli. Impartially and truly speaking ، he has presented original ideas in this method of spiritual wayfaring. Likewise

it is a purely Qur'anic method, especially the discussion about gnosis which provides a comprehensive and robust principle for spiritual wayfaring .

Key words: spiritual wayfaring, way-station, spiritual state, annihilation, al-Shaykh Jawadi Amuli.

المقدمة:

تمثل المناهج السلوكية للسير والسلوك خارطة الطريق للسالك للوصول الى الله تعالى .

اما من حيث المنهج السلوكي الفردي فيكاد يكون فيه اتفاق بين العرفاء. والاختلاف اما يكون من ناحية عدد المنازل والمقامات او من ناحية المراد من هذا المنزل او المقام .

فعلى الرغم من أن الشيخ جوادي الآملي سار على منهج السراج الطوسي في المقامات والمنازل. الا انه اختلف معه في مقام الفقر حيث لم يعتبره الشيخ جوادي من المنازل السلوكية كذلك من ناحية تفسيره لمقام الايمان وغيرها من الاختلافات .

واما من ناحية المنهج السلوكي الاجتماعي ومنازله من المعرفة والهجرة والسرعة وسبق الآخرين والامامة. فقد اهتم سماحة الشيخ جوادي الآملي بمنزلة المعرفة لأهميتها ومحوريتها بالنسبة لبقية المنازل. فلا يقتصر دور المعرفة في رسم الخطوات للمراحل القادمة بل ان دورها الاساسي هو ان تتحد مع روح المؤمن. وعند ذلك يصدح الانسان ابديا، اما الشخص الذي لم يسلك طريق المعرفة. لم يصل الى الحقيقة بل يصل الى نفسه الحيوانية ويدركها لا غير اما قلوبهم وافئدتهم كما يعبر القرآن (هواء) وفارغة لاشياء فيها .

واما مبحث المرحلة الاخيرة من التكامل وهي مرحلة الامامة فهي بحق قد اخرجت العرفان الحقيقي القرآني الى المجتمع واعطته الدور القيادي الذي يستحقه في المجتمع. فالعارف الحقيقي هو امتداد لمدرسة الانبياء والأئمة الذين كان همهم اصلاح الفرد والمجتمع وتحملوا كل انواع البلاءات وصنوف العذاب لاجل رفعة. كلمة لااله الا الله والتمهيد لدولة العدل الآلهي. وليس الانزواء عن المجتمع ونترك الواجبات الاجتماعية والنظرة السلبية للمجتمع. بل المجتمع عند الشيخ جوادي الآملي هو المنطلق. الاساس للسير والسلوك. بل يترقى ويقول يجب على العارف قيادة وامامة المجتمع والأخذ بيدهم للوصول الى الله.

منهج السير والسلوك الفردي عند الشيخ جوادي الآملي

١. اليقظة

وهي عكس الغفلة ويعتبر العرفاء اليقظة بإنها شرط لازم للسير والسلوك بل يعتبرها الشيخ جوادي الإملي اوّل مقام للسالكين، وفي هذا المقام يرى الانسان نفسه انها مقصرة

وناقصة وفقيرة وانها مفرطة في جنب الله. وعلى هذا الأساس تسعى لطلب الكمال والتحرك نحوه. ويحاول جاهدا لرفع النقص. التقصير.

وهناك عوامل اختيارية وقهرية لليقظة: اما العوامل الاختيارية. فهي الانبياء عليهم السلام والقرآن والمحبة الآلهية والذكر الآلهي والنفخة الرحمانية والتعقل البرهاني والتفكر واخذ العبر وتلاوت الآيات الآلهية وذكر المعاد والآخرة والتوحيد والنصيحة والموعظة والشعر والفن.

اما العوامل القهرية لليقظة.

فأهمها مواجهة الاخطار والبلاءات والامتحانات الإلهية والعقوبات الآلهية الدنيوية[١].

٢.الطهارة

مالم يتطهر الانسان لا يمكنه السير والسلوك والوصول الى الله الطيب. اذن سر وحكمة الاوامر الصادرة من عند الله سبحانه وتعالى سواء كانت عبادية او مالية وهي عبادية ايضا لأجل طهارة الضمير والروح التي يحبها الله جلت عظمته قال تعالى ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[٢] وقال تعالى في وصف الذين يحبون الطهارة ﴿...فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٣]. فهم ينظرون اليها بوصفها امرا محبوبا لديهم ويحبون طهارة الضمير.[٤]

عوامل الطهارة:

أما العوامل التي من خلالها تحصل الطهارة:

فهي محو السيئات وتبديلها بالحسنات وأعمال الخير والعقل القويم والخلق المستقيم كذلك من عوامل الطهارة القرآن الكريم الذي يعتبر عامل طهارة للفرد والمجتمع والشعائر الدينية والتوبة والكفارة وذكر الله والاستغفار وغيرها من الاعمال الصالحة. ويذكر الشيخ مصباح اليزدي نكتة مهمة في هذا الجانب حيث يقول ان احد مطهرات النجاسة الظاهرية هو الاتصال بالماء الجاري. كذلك لطهارة النجاسة الباطنية هو الاتصال بالله (ذكر الله). وتعتبر الطهارة بمثابة تمهيد الارضية لاستنزال الفيوضات الآلهية والنفحات الآليه في السير والسلوك.[٥]

٣. التوبة.

أهم مقام في السير والسلوك هو التوبة وايضا افضل شيء ينفع الانسان هو التوبة وقد يصل الى ان تكون التوبة اساس للمحبة الآلهية. والذي يفقد التوبة سوف لا يحصل على اي مقام عرفاني وسلوكي من المقامات المذكورة. لأن مادام السالك راضياً بحاله فليس لديه دافعا للسير والسلوك ولا يمكن السير بدون ترك ما كان عليه من الأفعال الخبيثة مثل المحرمات والمكروهات وترك الواجبات والمستحبات. والشيخ جوادي الآملي في بعض كتبه يعتبر التوبة المقام الاوّل للسير والسلوك ولكن في بعض الكتب يبدأ باليقظة. وانا سمعتُ من شفاههُ ان اوّل مقام هو اليقظة. فالذنوب سبب الورود الى النار وسد باب الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة والذنب يشكل الحجب الظلمانية التي لا نجاة منها الا بتوفيق الله. وللشيطان اليد الطولى في تأخير التوبة والاستدراج الى المعاصي.(٦)

والتوبة نوعان

توبة العوام وهي الرجوع من المعاصي والكف عنها وتوبة الخواص وتوبة العقلاء من ترك المستحبات وترك الأولى. وتوبة الاخص من التوجه الى غير الله.(٧) وتوبة الانسان الكامل حقيقتها الدفع وليس رفع الغفلة.

٤. الرياضة الشرعية

والشيخ جوادي الآملي يعتقد ان الآية المباركة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٨) تدل على الرياضة العامة. اما المرحلة الاعلى او الرياضة الخاصة فقال تعالى ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾(٩) أما إذا وصل إلى المرحلة النهائية ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾(١٠) والرياضة هي الممارسة بمعنى كف النفس عن الحركة نحو البهيمية والسبعية والشيطانية ورياضة الخاصة هو سعي السالك ان لا يتصف بمذموم ورياضة الاخص ان لا يرى الا الله. وهنا قيد الشرعية مهم جدا لأن خصوصا العرفان العملي الشيعي هو خالص لأنه مأخوذ من القرآن والنبي واهل بيته. لأن الرياضة هنا هي عبارة عن إتيان الاوامر الآلية والابتعاد عن النواهي وكذلك مستحبات ومكروهات. ويوجد عندنا لكل زمان ومكان رياضة خاصة به. وكما قال امير المؤمنين رياضة النفس هي عبارة عن الشريعة والدين الآلهي. (الشريعة

رياضة النفس)[١١]

وقال الامام علي عليه السلام أيضاً ((لأروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مأدوما ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب مَعينها مستفرغة دموعها))[١٢] وهناك احاديث حول الرياضة مثل ((ان طاعة النفس ومتابعة اهوائها اس كل محنة ورأس كل غواية)) و((انك ان اطعت هواك اصمّك واعماك وافسد منقبلك وارداك)) و((صلاح النفس مجاهدة الهوى)) و((ردع الهوى عن تسويل الهوى ثمرة النّبل)). اما ثمرة الرياضة في الحديث ((لقاح الرياضة دراسة الحكمة وغلبة العادة))[١٣] و((من استدام رياضة نفسه انتفع))[١٤]

٥. المراقبة والمحاسبة

بعد مرحلة الرياضة يأتي مقام المراقبة والمحاسبة. ففي الوقت الذي تصبح فيه النفس الامارة مطيعة للعقل العملي ولا تأمر بالسوء. يجب التفرغ للمراقبة والمحاسبة. والمراقبة تأتي بمعنى ان يكون الانسان رقيب نفسه. بحيث يصبح مثل الرقبة بالنسبة الى بقية اعضاء البدن من ناحية المراقبة. فيجب على السالك عندما يبدأ السير والسلوك ان يكون من اهل المراقبة والمحاسبة. امير المؤمنين يقول ((عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها قبل ان تحاسبوا))[١٥]

التقوى في المراقبة والمحاسبة.

القرآن الكريم يأمر بأن تكون المراقبة والمحاسبة يجب ان تراعى فيها التقوى كما جاء في سورة الحشر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا﴾[١٦]. ففي هذه الآية الصغيرة قبل وبعد من المحاسبة كلمة التقوى مذكورة. يعني يجب على الانسان قبل المحاسبة ان يراعي التقوى، وفي المراقبة ان يكون متقياً. والخلاصة. بالمراقبة ان يكون الانسان مطلع على نفسه كاملا. والمحاسبة ان يحاسب السالك نفسه وبالتالي تورث الخضوع والخشوع وتقوى القلب[١٧].

٦. التقوى.

بعد مرحلة المراقبة و المحاسبة تأتي التقوي. وتتكون التقوى من ثلاثة اركان: فالاول هو الخوف من الله، وترك الاعمال القبيحة، وقصد القربة في الخوف والترك. وحول التقوى ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[١٨]

١. الايمان

فهو صفة قلبية على مراتب اولها الإيمان التقليدي وشرط الايمان العلم الصالح وقد يختلط بالايمان الشرك في البداية، فيولد منه النجاسة الباطنية، والمؤمن لا ينجسه شيء الى ان يصل السالك الى (كأن) واعلى من ذلك مقام(أنّ) في الشهود، وهذا المقامان مستخرجان من قصة حارثة بن مالك صاحب رسول الله ﷺ[١٩] فكان حارث في مقام (كأنّ) حيث قال (كأني انظر إلى عرش ربي) واستخرج الشيخ جوادي الآملي مقام اعلى من ذلك هو مقام (أنّ)[٢٠]

٢. الثبات

وهو ضروري جدا بعد اصل الإيمان لان طريق السير والسلوك طويل فليس العبرة بكثرة الاعمال بل بالثبات والاستقامة على الايمان. والإيمان وحده للسلوك لا يكفي بل يجب الثبات على الاعتقاد والايمان. قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[٢١] وأيضاً جاء في ادعية الوضوء <<اللهم ثبت قدميّ على الصراط يوم تزل فيه الاقدام>>[٢٢]

٣. النية

بعد الثبات ربما يكون العمل بلا روح. وهي النية.

لذلك يجب ان يؤتى العمل بنية القربة الى الله تعالى. واهم شيء في النية هو الاخلاص من الرياء والسمعة. قال رسول الله ((فإنما لكل امرء مانوى))[٢٣]. فالسير والسلوك قيمته على قدر النية. وتعتبر النية من الاعمال الباطنية التي يرتفع بها الاعمال العادية في حياة البشر كالبيع والشراء وبقية المعاملات الى العبادات وذلك من خلال قصد القربة.[٢٤]

٤. الصدق

وصف الله سبحانه وتعالى الانبياء بعنوان <صدّيق> وصادق، كذلك دعاء الله المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢٥]. ولذلك للأقتداء بسيرة وسنة اهل الصدق. واذا حصل السالك على الصدق في كل ما يتعلق به من الافكار والاقوال والافعال فتكون مكاشفاته صادقة ايضاً[٢٦].

٥. الانابة

الانابة بمعنى <نابَ يَنُوب> او من <ناب ينيب> اي بمعنى الانقطاع. لذلك المنيب يعني كثير العودة والرجوع الى الرحمة الآلهية. وكذلك المنيب تعني الانقطاع من غير الله والارتباط بالله.

قال تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾[٢٧] وكذلك ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾[٢٨] فالذي يستفاد من الذكري أو التذكرة هو المنيب، او بمعنى ان المنيب هو المستفيد من المواعظ الآلهية.[٢٩]

٦. الاخلاص.

و معناه ان يكون قلب السالك لله فقط. قال تعالى ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[٣٠]. والواصب بمعنى التام والجامع والمملوء والكامل. فجميع الاحكام والقوانين الآلهية هي لله وحده. وقال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[٣١]. ومن الاعمال المفيدة للحصول والوصول الى مقام الاخلاص هو الاخلاص اربعين يوما حتى يجري ينابيع الحكمة من قلبه الى لسانه.[٣٢]

٧. الخلوة.

من الامور التي يجب على السالك الى الله تحصيلها هي الخلوة. فالخلوة احد مراحل للسير والسلوك ومن مقامات العرفاء. ولكن الخلوة لا تعني الانعزال والانفصال من المجتمع. والقرآن الكريم يقول ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٣٣]. يعني لاتكن مثل يونس عليه السلام ترك قومه واعتزلهم، بل تكن مثل ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾[٣٤] و﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾[٣٥]. والخلاصة ان الخلوة ليس الانقطاع المطلق عن المجتمع بل هي استعمال الليالي في طلب الحق وان يكون خلوة السالك جلوته وجلوته خلوته فيعيش بين الناس مع الله.[٣٦]

٨. الخوف والحزن

مرحلة الخوف والحزن احد مراحل السير والسلوك والسّلاك ووظائفهم. والخوف يختلف عن الخشية والخشية تختلف عن الرهبة. ولكن الخشية والرهبة قريبتان في المعنى أما الخوف فيختلف عنهما. فالخشية والرهبة انفعال باطني من عظمة الحق تعالى. أما الخوف

فمتعلق بالآثار العملية ولذلك يمكن الخوف من غير الله. بخلاف الخشية. وفي القرآن الكريم يوجد هذا المعنى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣٧]. وقال تعالى ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[٣٨] فالخشية فقط من عظمة وجلال الله. اما الخوف من صعوبة يوم القيامة والحساب وغيرها.[٣٩]

٩. الرجاء.

ويقابل الخوف (الرجاء) الذي هو من مراحل السير والسلوك. فالسالك يجب عليه ان يكون دائما في مقام الرجاء لله تعالى. الامام السجاد يخاطب الله تعالى ويدعوه. بقوله ((اللهم انه يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث وتحدوني عليها خلة واحدة، يحجبني امر امرت به فابطأتُ عنه، ونهي نهيتني عنه فأسرعت اليه، ونعمة انعمت بها على فقصرت قي شكرها، ويحدوني على مسألتك تفضلك على من اقبل بوجهه اليك ووفد بحسن ظنه اليك اذ جميع احسانك تفضل واذ كل نعمك ابتداء))[٤٠]. لاجل فضل الله وكرمه يجب ان نعيش الرجاء ونأمل الخير والصفح من الله. ولكن يجب التفرقة بين الغرور والرجاء. فالرجاء هو المصحوب دائما بالعمل. اما الغرور فهو يكون بدون عمل. او هو التمني وهو مذموم. اما الرجاء فهو ممدوح جدا.،[٤١]

بالنسبة الى الحزن فالخوف يتعلق بالمستقبل والحزن بالماضي الّا اذا كان التقصير المستقبلي امرا متيقنا ففي تلك الحال يمكن ان يتعلق الحزن بالمستقبل ايضا. لان المستقبل المتيقن بمنزلة الماضي في وقوعه. والأمن على قسمين. الأمن المذموم وهو الامن من مكر الله. والامن الممدوح وهو الأمن في الله، نتيجة الايمان الخالص. ويحصّل السالك الأمن اذا وصل الى مقام الرضا او ما فوقها فإن اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون. والخوف من الآخرين من عوائق الطريق. كما ان الخشية من الله تسوق العبد الى ربه.[٤٢] والرجاء في رحمة الله يقابل الخوف من عذابه ويشتد الرجاء مع السير الى ان ينتهي الى الطمأنينة

١٠. الصبر

بعد مرحلة الرجاء مرحلة الصبر، فالشخص الذي من اهل السير والسلوك يجب عليه الصبر الذي هو خلاف الجزع. فالجزع هو طريق منحرف. والصبر هو الصراط المستقيم.

وهناك ثلاثة اقسام للصبر.

فهناك صبر على الطاعة، وصبر من المعصية، وصبر على المصيبة. ويجب على السالك ان لا يكون مضطرباً. اما بالنسبة الى الصبر بالنسبة الى السلاك. فأيضاً ثلاثة أقسام:

فهناك صبر العوام وصبر السالكين وصبر الواصلين. اما صبر العوام هو الايشكي الإنسان عند نزول ما يستلزمه الصبر ولو كان قلبه يضطرب وهو صبر العبيد. وصبر السالكين فهو ان يصبر لأجل الثواب الأخروي فلا يضطرب قلبه وهو صبر التجار. اما صبر العارفين فهو صبر لأجل رضا الله. وهذه مراتب المقامات تقسم عند الشيخ جوادي الآملي حسب انواع العُباد الثلاث اي عبادة العبيد وعبادة التجار وعبادة الاحرار.[٤٣]

١١. الإرادة.

هو طلب المفقود وهي على قسمين: الارادة في السلوك وهي اساس الحركة وعند الوصول الى الهدف تصبح ارادة الواصلين منشأ صدور الكمال ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٤٤] واعلى مرتبة الارادة هو الايريد.

وقد انتقد الشيخ جوادي الآملي الطوسي في نظريته حول انقطاع الإرادة بأن الإرادة تكمل بالوصول ولا تزول. بل تصير ارادة السالك هي ارادة الله في القرب الفرائضي. قد امر الله نبيه ﷺ في القرآن ان يهاجر من اراد الحياة الدنيا وان يصبر نفسه مع من أراد وجه الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ...﴾[٤٥]. وهو امر حي في كل زمان لأن الإنسان ضعيف، لا يسلك سبيل الرشاد بمجرد آرائة الطريق، بل يحتاج الانسان الى من يرافقه، وقد يرافق السالك الرسول ﷺ بوجوده العنصري او بحضوره الرسالي أو الولائي وهو معنى الحديث((من مات لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية))[٤٦]

١٢. الشوق

الشوق يسرّع الحركة لأنه ارادة مؤكدة ويحصل بعد ذوق الحقيقة والافتراق عنها وهذه المرحلة تعتبر وسطى بين الارادة والمحبة او هي حلقة الوصل بينهما.[٤٧]

١٣. المحبة

وهنا تكون المحبة غير محدودة لأن الجمال الآلهي وكماله وجلاله غير محدود. وكذلك الانسان الكامل غير محدود بالنسبة للسالك وهو المحبة الصادقة التي بها يفني بها السالك عن نفسه ايثارا لمحبوبه. بخلاف المحبة الكاذبة التي تغلب عليها اميال النفس والتعلق بالدنيا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وتحبون المال حبا جما ولكن الذين آمنوا اشد حبا لله. فالمحبة محور التربية لأن الله ادب نبيه على محبته وهو ﷺ اسوتنا الحسنة. ويرى الشيخ جوادي الآملي ان محورية المقامات اللاحقة تدور حول المعرفة وليس على المحبة[٤٨]

١٤. المعرفة.

مالم يمتلك الانسان قاعدة فكرية ايجابية لايمكنه رفض الفكرة السلبية ومالم يلج الانسان حرم التوحيد الآمن لا يستطيع ان يرفض الشرك والطاغوت فعندنا يبدأ الانسان بالمعرفة فهو قد شرع من بداية طريق التكامل وعلى حد تعبير مولى الموحدين الامام على عليه السلام ((اول الدين معرفته))فإذا عرفه تحرك نحوه.[٤٩]

١٥. اليقين.

المراتب والمقامات قبل اليقين تعتبر من المراتب الاولية أو المتوسطة للسلوك. اما بعد وصوله لليقين فقد وصل الى المراتب العليا للسلوك. واليقين له ثلاث مراتب. وهما علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين مبني على المعرفة. اما مرتبة علم اليقين فهي مرتبة عقلية واما عين اليقين وحق اليقين فمقامان شهوديان. والنية على قدر اليقين واليقين على قدر المعرفة. واليقين هو الجزم المطابق للواقع وفي القرآن الكريم يتبع عين اليقين علم اليقين ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٥٠]. وهذه الرؤية قبل الموت[٥١].

١٦. السكون.

والسكون ينبع من العلم بأن الله هو المدبر الحقيقي فلا يضطرب السالك عند اختلاف الأمور والسكون بعد الوصول ليس بمعنى عدم الحركة الصعودية لأن السكون للواصلين هو الشهود والطمأنينة والأمن لأنهم وصلوا الى المحبوب ولا يزالون يشاهدونه في كل حالة. فتنتج السكون في النفس لا الوقوف. فالسكون واليقين والمعرفة والمحبة مرتبطة بعضها ببعض

في سير السالك على مراتب متعددة[٥٢].

وقد لا يشعر او يشعر السالك بذلك لأن هذه المقامات لا تترتب بعضها على بعض في كل حال مع ان ما أورده علماء السلوك في تنظيم المراتب صحيح. في محله ولكن للسالك مرتبة من المعرفة والمحبة واليقين والسكون ويمكن صعود هذه المراتب معاً وبمرة واحدة لا بترتيب خاص وقد عبّر عن ذلك الحديث بأن الإيمان بمنزلة السُلّم[٥٣].

١٧. التوكل

وهي ان لا يرى نفسه مستقلا. والتوكل هو ان لا يخاف مع الله شيء ولا توكل الا بالعمل ويولّد التوكل الغنى والعز. قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٥٤].

١٨. الرضا

الرضا ثمرة من ثمرات المحبة ولكن الشيخ جوادي الآملي يقول انها من ثمرات المعرفة وليس المحبة. وهو اعلى مقامات المقربين قال السيد الخميني قدس سره ((ان مقام الرضا مقام الواصلين وليس منزل السالكين)) قال تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٥٥] وفي مقام الرضا يحاول السالك ان يرضي ربه بالطاعة وان يرضى بما قضى الله وقدّر لكي لا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما آتاه ولا يقول للذي وقع ياليته لم يقع ولا للذي لم يقع ياليته وقع،[٥٦].

١٩. التسليم

يختلف مقام التسليم عن مقام الرضا. لأنه في مقام الرضا تبقى نفس السالك حتى ترضى عن ربها حسب معرفته ومحبته.

أما في مقام التسليم لا يبقى أثر للنفس وهذا المقام لابد وأن يحصل في حق رسول الله ايضا حيث صرح القرآن بأمر التسليم إليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ والتسليم آخر المراتب العملية. والتوحيد أول المراتب الشهودية.[٥٧]

٢٠. التوحيد.

وهو اول المقامات الشهودية وهو ان لايرى مالكا الا الله وينقطع عما سواه. قال تعالى وان المالك الحقيقي هو الله تعالى. وان المالك الحقيقي للدنيا والآخرة والموت والحياة والضر والنفع هو الله تعالى كما جاء في الدعاء ((..لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا))[٥٨]

٢١. الاتحاد الشهودي.

وهي مرحلة اعلى من التوحيد وهي الاتحاد وهي لا تعني الاتحاد بين العبد والمولى فهذا الاتحاد محال عقلا وباطل. وليس بمعنى الحلول كما يقول اليهود ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ١. سورة محمد،١٩. وهذا الكلام هنا ايضا شرك وكفر. ولكن المراد من الاتحاد هنا الاتحاد الشهودي وليس الاتحاد الوجودي. يعني الانسان السالك يرى جميع العالم علامة ومظهر لله تعالى. والسالك هنا لا يرى غير الله لا في نفسه ولا في غيره.[٥٩]

٢٢. الوحدة.

الوحدة عند الطوسي اشد من الاتحاد ففي هذا المقام لا يشم رائحة الكثرة والسكون والحركة والفكر والذكر والسير والسلوك. ولكن الشيخ جوادي الآملي فسر هذا المقام بأنه السير في الأسماء الآلهية التي هي عين ذاته فلا ينتهي السير لأنه سير من الحق الى الحق.[٦٠]

٢٣. الفناء

وهو هدف السير ونتيجته فلا يرى السالك نفسه حتى يفنى عن حقيقتها. ولا يرى اثرا من فنائه في الله ويعبرون عن هذا المقام دار القرار وهو مقصد وسير وسلوك العرفاء. وعلى هذا المقام توجد آيات عديدة قال تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[٦١] و﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٢] وكذلك ورد في المناجاة الشعبانية <<اللهم. هب لي كمال الانقطاع اليك>>،[٦٣]

منهج السير و السلوك الاجتماعي عند الشيخ جوادي الآملي

مراحل التكامل من المعرفة حتى الامامة:

إن طريق المعرفة والنظرة الكونية عندنا غير منحصر بالحس والتجربة و ان كانت التجربة بدورها مفيدة في معرفة جوانب من العالم و ضرورية أيضاً و لكنها ليست كافية، وهي إحدى الطرق لذلك الا أنها لا تشكل بداية الطريق لأنها بذاتها تستند إلى العقل. فلو لا الاستدلال العقلي لما كان للتجربة قيمة أبداً فالتجربة لا تثبت نفسها بل يثبتها العقل. فالبرهان والدليل العقلي هو الذي يمنح التجربة قيمة، ولو لا وجود ذلك البرهان العقلي، كسند للتجربة لما كان للتجربة ان تتجاوز حد الاستقراء الذي لا يفيد العلم؛ و لهذا كان التفكير العقلي أساس المعرفة و ليس التجربة والتي هي متفرعة على التفكير العقلي. و يعتمد القرآن على دور العقل كثيراً و يستند إلى الدليل العقلي في براهينه و يحترم دور التجربة في ظل البرهان العقلي. و بالضرورة فعن طريق التفكير العقلي كانت بداية المعرفة الانسانية والنظرة الكونية.[٦٤] و حين يكون التفكير العقلي صحيحاً فان القرآن يرشد الانسان نحو السبل التي توصله إلى تحقيق الهدف النهائي من الخلق و مسألة تكامل الانسان في انسانيته واحدة من الموضوعات القرآنية المهمة، لأن الانسان في نظر القرآن الكريم كائن أبدي لأنه ينتقل باستمرار من عالم إلى عالم حيث بوصوله إلى نهاية المسير سيكون كائنا أبدياً. و من أجل تربية الانسان الذي هو موجود أبدي في نظر القرآن لا بد من وسائل أبدية لا تفني و لا تزول، و تلك هي العلم والمعرفة والعمل الصالح التي يحيي الملكات الانسانية في نفس الانسان. فقد يصل الانسان مرحلة لا سعي فيها و لا عمل: اليوم عمل و لا حساب و غداً حساب و لا عمل[٦٥] من الممكن ان يكون امام الانسان عالم ـ و هو القيامة ـ يرفع التكليف بالوصول إليه، لا انه لا يعمل فحسب بل لا يكون مأموراً بالعمل. الا ان حصيلته العلمية والعملية تكون حية في ذلك العالم و أبدية، أي ان ما تعلمه في الحياة الدنيا من علوم صحيحة تكون حاضرة عند ذاك وان كل ما عملت يداه و كل ما قد قام به في الحياة الدنيا من الايمان والعمل الصالح وما يمتلكه من ملكات يكون هناك حيا وموجودا أبديا؛ فالإنسان من وجهة نظر القرآن الكريم له بعد علمي حي أبدي وبعد عملي واخلاقي حي أبدي.

كذلك يري القرآن الكريم ان العلم والعمل او العقل النظري والعقل العملي سيتحدان في نهاية الأمر و ان كانا في البداية و خلال الطريق أمرين مختلفين و مستقلين. فالعقل النظري والعقل العملي للإنسان الكامل سيكونان واحداً، و هي غاية المراحل الانسانية حيث المعرفة عين القدرة والقدرة عين المعرفة. ففي أثناء الطريق تأتي المعرفة بالقدرة لكن في نهاية الأمر

وآخر الطريق تكون المعرفة عين القدرة، والقدرة عين المعرفة. في تلك المرحلة الرفيعة والسامية لا تفترق المعرفة عن القدرة ولا القدرة عن المعرفة. و قد أرشد القرآن الانسان من أجل الوصول إلى تلك المرحلة النهائية والتي هي في الحقيقة الهدف من خلق الانسان،[٦٦] بل ربما كان الهدف أرقي منها أحيانا. وكما اتضح لنا في المحاضرات السابقة، فان القرآن نور و تبيان، أي تبيان لجميع المعارف والحقائق؛ فبعد أن أثبت القرآن الكريم ان بداية الحركة هي المعرفة العقلية والتفكير العقلي لا التجربة والحس فقد رتب مطالب أخرى على أساس هذا الأصل؛ فبين انه لكي يصل الانسان إلى ذلك المقام الشامخ والهدف النهائي لابد له ان يجتاز هذه المراحل الخمس بنجاح كبير، الواحدة تلو الأخرى:

الأولى: مرحلة المعرفة والأفكار العقلية الأصيلة.

الثانية: الهجرة والسعي والجهاد والمثابرة.

الثالثة: السرعة في العمل، والتعجيل في الهجرة والاسراع في الحركة.

الرابعة: سبق الآخرين في الفضائل والتقدم والاسراع في الخيرات و بلوغ الأهداف قبل الآخرين و ما شابه ذلك.

الخامسة: الامامة والقيادة والأسوة والقدوة و توجيه الآخرين و ارشادهم.

لقد بين القرآن الكريم و بالتفصيل هذه المراحل الخمس: (المعرفة ـ الهجرة ـ السرعة ـ السبقة ـ الامامة).[٦٧]

المطلب الأول

المعرفة

فقال عن المعرفة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٦٨] فأمر الرسول الأكرم ﷺ ان يحيط علماً بالتوحيد و يرفض مدعي الألوهية والربوبية الكاذبين، اعلم انه لا اله الا الله فحركة الاعتقاد تقوم على محور العلم والوعي والمعرفة، و لا يقال للتقليد في التوحيد علماً.

اذا كانت مسألة بحاجة إلى الحد الأوسط والاستدلال فلا يمكن للانسان ان يحيط علماً

ويقيناً بها دون الوصول إلى الحد الأوسط والاستدلال. و هنا يخاطب الله رسوله و يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

ليس فقط: قل ((لا إله الا الله)) بل: اعلم انه ((لا إله الا الله)). القول حركة اثناء الطريق و ليست هي البداية. البداية هي المعرفة والفكر. الوعي أولاً و من ثم السعي، العلم أولاً و من بعده التحرك، المعرفة أولاً و من ثم السعي ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. فالقرآن لا يطرح التوحيد بصفته مركباً من بعدين: النفي والاثبات، بان ينفي صفة الألوهية عن الآلهة المزيفة أولاً ثم يثبتها لله بعد ذلك فليست كلمة التوحيد جملتي نفي و اثبات بحيث تتطلب منهما سعيا و جهدا، فـ ((الا)) هنا بمعني ((غير)) أي غير الله الذي تتقبله الفطرة و تسعي نحوه لا يوجد آلهة أخرى فبواسطة ((لا إله الا الله)) تتضح هذه المعرفة الفطرية التي تميل نحو الله و تتحرك صوبه، غير الله الذي تتقبله الفطرة لا يوجد آلهة أخرى؛ لأن الفطرة محتاجة و بين المحتاج والغني تجاذب تكويني عندما يكون في الوجود عطش فلا بد من وجود الماء و اذا كان في العالم محتاج فلا بد من وجود الغني. ان الانسان الذي يحس بنقصه، يتجه ـ ذاتاً ـ إلى الله الغني. اذن فـ ((لا اله الا الله)) ليس بمعني الاستثناء أي ان نقول ليس هنالك من اله ثم نستثني الله سبحانه بأنه اله، فيكون الأول عقداً سلبياً والثاني عقداً ايجابياً، بل ان ((الا)) هنا بمعني ((غير)). اي غير الله الذي تميل نحوه الفطرة ليس من إله آخر، اذن فأولاً اثبات الله و بعد ذلك نفي الشرك. الأول: التوحيد والاعتقاد بالله، ثم نفي الشرك و نفي الطاغوت. فما لم يمتلك الانسان قاعدة فكرية ايجابية لا يمكنه رفض الفكرة السلبية الطارئة و ما لم يلج الانسان حرم التوحيد الآمن لا يستطيع أن يرقض الشرك والطاغوت فعندما يبدأ الانسان بالمعرفة فهو قد يشرع من بداية طريق التكامل، و على حد تعبير مولي الموحدين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: أول الدين معرفته فقد عرف الله، و بعد ذلك تحرك نحوه. فما لم يلوث فطرته فان هذه الفطرة النقية هي في حركة صوب الكمال المطلق و اذا اكتملت المعرفة والتفت الانسان إلى نقصه و ابناء جنسه، واطلع على افتقاره والآخرين و أدرك ان المبدأ الغني هو الذي أنشأه و رباه؛ تحرك نحو المبدأ الغني المطلق.. اذا تمت المعرفة انطلق الانسان في الحركة والسير والهجرة... إلى الله.[٦٩]

فإنه و ان لم ترد كلمة ((الحركة)) في القرآن الكريم، لكن مفهوم الحركة و لوازمها قد

وردت، من قبيل: ﴿يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ و﴿هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. الهجرة يعني التخلص من النقائص والانطلاق نحو الكامل والكمال والحقيقة فان الهجرة هي القصد فقط و ليس التخلص لأن الانسان عندما يهاجر و يتخلص من النقص و ينتقل من القوة إلى الفعل فهو لا يفقد شيئاً. و لئن قالوا بأن الحركة فراق و وصال فإنما ذلك تسهيلاً للتعلم والتعليم والا فالحركة ليست فراقاً و وصالاً؛ فالذي يعطي شيئاً ليأخذ شيئاً لا يتحرك فمن فقد كمالاً لم يقم بحركة. فالحركة على طول الخط قصد و عروج نحو الكمال، و خروج من القوة إلى الفعل، وابتعاد عن النقائص والرذائل الأخلاقية... و هجرة.. و تحليق فوق الطبيعة... وانعتاق من عالم المادة وانعتاق من الرذائل النفسية التي تشدّ الانسان إلى الأرض و تجعله يشعر بالثقل و هي تحرر والهجرة تمنح الانسان النجاة و يقال لذلك الارتقاء ((نجو)) ولتلك ((المرقاة)) نجاة.(٧٠)

المطلب الثاني

الهجرة

فبالهجرة ينجو الانسان لأنه يرتقي فوق حضيض الطبيعة والمادة. فعندما يصل الانسان إلى ذلك المرتفع والمرتقي ينجو حيث ان هذا المقام مقام التجرد و ما دام الانسان تائهاً في صحراء الميل للدنيا العريضة فهو بعيد عن النجاة.. و حين ينتقل من الوادي إلى السهل الواسع و من السهل إلى السفح و من السفح إلى القمة والأوج، يصبح من أهل النجاة و عندها يصير من أهل المناجاة مع الله سبحانه و تعالى أيضاً، و يناجي ربه و عندها يناجيه الله كذلك. و بناءً على هذا، اذا انطلق الانسان فهو لا يفقد شيئاً بل انه ينال مكاسب جديدة باستمرار(٧١). فما يخلفه الانسان وراءه في حركته و هجرته هو النقص، و ترك النقص كمال. فما يخسره المهاجر والمتحرك هو النقائص والأهواء المادية والطبيعية، و فقدانها هو ((عين)) الفضيلة والكمال؛ لأنها سلاسل و أغلال و موانع و عقبات. عندما تبدأ الهجرة عن الرذائل و يبتعد عن الرذائل الحيوانية يمكن للانسان رؤية الطريق والصراط بوضوح، و هنا يدرك الانسان ان كثيراً من الكمالات التي كان يعدها المرحلة النهائية سابقاً موجودة في الحيوانات أيضاً، و عندما يشرع في المسير و ينطلق يري ان العالم في سعي و حركة، و ان ما وجده موجود لدي الآخرين أيضاً.(٧٢)

فان سعي لتوفير وسائل الترفيه، من لباس فاخر و طعام لذيذ، و ان يحمل كل هذه الأشياء، و ان ينمو.. فسوف يري ان هذا المستوى من الهجرة والحركة والكمال موجود في النباتات أيضاً و سوف يدرك أن الانسان الذي كل همه و سعيه لأن يوفر الغذاء الجيد ويتناول العذاء الجيد لينمو بشكل جيد هو ليس بأحسن حالاً من النبات. فإذا ما توقف الانسان عند هذا المستوى يتبين ان معرفته ليست كاملة وان معنى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لم تنبت في روحه. ان الانسان الذي همه و سعيه هو ان يأكل جيدا و يلبس جيدا و يتجمل جيداً و يجمّل جيداً لا يعدو ان يكون شجرة جيدة، فهو بمثابة نبات نام و جيد و جميل. وهذا المستوى ليس انه لا يرتقي إلى المستوى الانساني فحسب بل انه لا يرتقي إلى المستوى الحيواني أيضاً، لأن النباتات هي الأخرى تملك هذا المستوى من الهجرة والحركة والكمال. وان تخطي هذه المرحلة و حلل بأفكاره و فهمه المسائل، و صار همه ان يؤدي الأمانة.. وان يتذوق طعم الأمانة والائتمان. وان يسعي لتحقيق كمالات كهذه، والتي هي أول الطريق أيضاً؛ لأن أمثال هذه الخصال قد غرست في بعض الحيوانات أيضاً؛ فالذي لا يخون هو حيوان جيد لم يبلغ حد الانسانية بعد.. والذي يحمي الضعيف و محيط بيئته هو الحيوان الجيد الذي لم يبلغ المراتب الانسانية العالية بعد.(٧٣)

وعلى حد التعبير الرفيع لابن سينا (الذي هو من حكماء المتألهين الاسلاميين) في الاشارات والتنبيهات: ان الكلب (المعلَّم) ليزحف و هو جائع و بأمسّ الحاجة إلى الطعام، على الأرض الصخرية لالتقاط الفريسة في سفح الجبل كي يقدمها ـ بأمانة ـ إلى صاحبه الصياد.. لأنه ربيً على اداء الأمانة.. و انه ليجد لذة في عمله ذاك. فان لم يخن المرء فليس معني ذلك انه انسان كامل و انه قد بلغ المنزلة الانسانية الشامخة والرفيعة؛ لأن الذي يخون الأمانة هو أدني مرتبة من الأنعام على حد تعبير القرآن الكريم. و عندما يعبر القرآن عن أناس أنهم ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(٧٤) فليس ذلك من باب الذمّ أو السباب، بل هو التعبير الواقعي عن حقيقة و دواخل هؤلاء التي هي ادني من البهائم. اننا نري الدجاجة تشعر بالمسؤولية بمجرد ان تضع البيض فتبدأ برعاية فراخها والمحافظة عليها والدفاع عنها وحمايتها. فالدفاع عن الأدنى.. والوقوف إلى جانب التابع الضعيف حالة موجودة في الحيوانات أيضاً؛ و لذا فان الذي لا يدفع عن الضعيف لهو أدني و أضل من الحيوانات.

وهذه الخصال لا تمثل درجة الانسانية الكاملة. فالانسان أسمي منها بكثير. اذا سعي امرؤ وجاهد من أجل مياهه و ترابه فهو لم يبلغ الكمال الانساني بعد، اما لو سعى وجاهد من أجل عقيدته ودينه وأنبيائه وأئمته.. والخلاصة لو كان سعيه و جهاده في سبيل الله و لأجل السعادة الأبدية، عند ذلك يكون انساناً. و لهذا، يأمرنا القرآن الكريم بالاسراع في الحركة والسعي و بذل الجهد في نيل الفضائل والخيرات، لا تقنعوا بما أنتم عليه، بل استمروا في حركتكم أسرع، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٧٥)(٧٦).

المطلب الثالث

السرعة

السرعة صفة الهجرة والحركة و هي كمال، والعجلة صفة المتحرك و هي نقص. فالذي لم يحصل على المعرفة و يشرع بالحركة هو عجول، اما الذي تنوّر بالمعرفة و شرع بالهجرة والحركة، فإن تضاعفت حركته فهي سرعة، و هي أمر حسن و في موضعه، و لهذا أوصي القرآن بالمسارعة هنا فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.. ها هنا يأمر القرآن بالسرعة، ويقول ان هذه السرعة ليست في التكاثر في الأموال لكي تستقبح، ان هذه السرعة ليست في الجري وراء المادة والدنيا لكي يكون استكثارها قبيحاً. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(٧٧).

المطلب الرابع

سبق الآخرين

سابقوا لتفوزوا كونوا السباقين والمتقدمين فان كان الآخرون يسعون في المسائل العلمية فاسعوا أنتم لكي تكونوا أعلم و ان تضيفوا إلى علومكم ما تستفيدونه من علوم الآخرين ((أعلم الناس من جمع علم غيره إلى علمه)). و ان كان غيركم عادلاً فاسعوا لأن تكونوا أعدل، أو كان شجاعاً فاسعوا لكي تكونوا أشجع، أو كان تقياً فاسعوا لأن تكونوا أتقي ذلك ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٧٨).

سابقوا، فان هذه المسابقة مؤشر على الكوثر خلافاً للتنافس على الدنيا فهو تكاثر مذموم؛ فان الله تعالى عبّر عن الخير والعظمة بالكوثر فقال ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(٧٩) وعن القبائح بالتكاثر، فقال: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾(٨٠).

فمن يسابق في هذه المرحلة و يتقدم و يسبق، و يصل إلى الفضائل قبل الآخرين.. شيئا فشيئاً تتشكل صورة سبقه فيكون من الذين وصفهم القرآن بقوله ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٨١] الذين لا يبلغ مرتبتهم أحد لا يري القرآن الكريم من التحق بالاسلام بعد فتح مكة كمن آمن قبل الفتح و جاهد في سبيل تقدم الاسلام من كان من ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ من نصر الاسلام و نبيه عندما كانت الدعوة الاسلامية ضعيفة حتى انتشرت في الحجاز و تم فتح مكة و بقية الفتوحات الاسلامية بأمر و قيادة الرسول الأكرم ﷺ هو في السابقين والذين التحقوا بهم فيما بعد ليسوا مثلهم اذ اللاحق ليس مثل السابق أبداً. فالسابق قد أسرع و نال السبق و ذاك تأخر فكان لاحقا. هذا كان بطيئاً و ذاك كان سريعاً، كان طائرا و متقدما و مسرعا في أمر دينه. وحين ينتهي السباق و يفرز السابقون عن الآخرين الذين تخلفوا يكون الأسبق والأعلم والأعدل والأشجع والأعلى ادارة و تدبيراً من بين هؤلاء السابقين هو الامام[٨٢].

المطلب الخامس

مرحلة الامامة

قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فالمتقدم من بين السابقين يكون اماماً للمتقين. التقوي اللازمة ضد الأجنبي وهي بالجهاد، والتقوي حيال الصديق هي بالعطف والرأفة؛ فان الورع عن محارم الله و عذابه يستلزم تكليفا خاصا في كل مورد، فمع المؤمنين بالرأفة والرحمة مع الكفار بالشدة ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فالتقوى في ساحة المعركة هي الشدة، و بين المسلمين هي الرحمة. وبناء علي هذا فان المتقدم من بين السابقين والسابق أكثر من الجميع هو الامام: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[٨٣]، اذ ان الذي كان صابراً على الطاعة والمصيبة و عن المعصية يمكنه ان يصل مرحلة الإمامة.

والامام هو تلك الطريق الواسعة. فليس كل طريق يوصل إلى الهدف والمقصد، كما ان القرآن لا يعتبر كل طريق امام، بل ذاك الطريق الرحب الذي يكفي في الوصول و معرفة الهدف و هو ذاته الصراط ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، يقول الله عن أئمة الدين ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾[٨٤] و هذا هو الوحي التسديدي والتوفيقي لا الوحي التشريعي و وحي الاحكام.. فالرسول ﷺ يتلقي الوحي في التشريع والأحكام، الا ان أئمة الحق و قادة الخلق

يمتازون بالوحي التسديدي والتأييدي. و اذا ما بلغ الانسان المهاجر السابق هذه المرحلة و دخل نطاق الامامة فلا حد لتوقفه في السير بل الامام يستطيع ان يبلغ حيث يمكن لموجود عالم الامكان ان يتقدم، و يصل ذلك الانسان الكامل إلى حيث هو في ميسور الانسانية. و بين تلك المرحلة و مرحلة المعبود الحق مسافة لا متناهية و غير محدودة و ليست مجرد مسافة و انما المسافة بين الممكن والواجب غير محدودة و تعد جزءاً من الصقع الإلهي. وحتى لو بلغ مرحلة لا يشعر فيها بذاته، اي كان موجوداً لكنه لم يع وجوده بل ذاب في واجب الوجود، فان الفاصلة بينه و بين الواجب غير محدودة أيضاً.

و أخيراً، فان الطرق التي يرسمها القرآن متناسبة في الطول، فيبدأ بالمعرفة، حيث في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة آية حول المعرفة والتفكر والتذكر والتدبّر.. المرحلة الأولى هي المعرفة التي يجب ان تستند التجربة اليها.. والمرحلة الثانية الحركة والهجرة من النقص إلى الكمال، والعزم على السير، والتخلص من عبادة الذات، والابتعاد عن الاهواء. و هو ما يعتمد على معرفة النفس أيضاً. المرحلة الثالثة هي المسارعة في الهجرة والحركة و عدم التواني: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾. المرحلة الرابعة هي: المسابقة والتسابق في الفضائل والخيرات مع الآخرين.(٨٥)

أما الامامة والقيادة والشعور بالمسؤولية، والتوجيه والارشاد؛ حيث الانسان يتجه نحو الكمال ليجتذب الآخرين أيضاً. ان السرعة التي لا تنتهي إلى السبق لا تزال بين مراحل الطريق. و ذلك السبق الذي لا يختم بالامامة لا يزال من مراحل الطريق.. والذي لا يحس بالمسؤولية و لا يفكر الا في نجاة نفسه، دون ان يأخذ ابتلاء الآخرين بعين الاعتبار، ليس اماما، فهو لا يتحرك ـ في الحقيقة ـ نحو الهدف المنشود، فهو قد سارع ليكون اماما، و سابق ليكون اماما، و حصل على المعرفة لكي يكون اماما، و هاجر ليكون اماما، و لهذا فان الامامة هي أعلي مراتب الانسانية و أرفعها. والامامة الأصيلة هي للأنبياء والأولياء اي الأئمة الأطهار عليهم السلام فالآخرين؛ و كل من تابع المعصومين يمكنه ان يكون بدوره اماماً لغيره بقدر ما نال من المعرفة و حقق من الحركة والهجرة والسرعة والسبقة. نسأل الله تعالى ان يتفضل على الجميع بالانتفاع من القرآن الكريم و ان نحصل على المعرفة بالشكل الصحيح فتكون معرفتنا طريقاً إلى الحركة والهجرة إلى الله، وان يسارع في هجرتنا و يبلغ بها السبقة

فالامامة والقيادة في ظل امامة و قيادة الأئمة المعصومين عليهم السلام، و هي الغاية الممكنة في عالم الامكان. وهنا يدعوا الشيخ جوادي الآملي بدعاء مرتبط بالبحث نذكره بالنص للفائدة فهذا الدعاء بحد ذاته هو سير و سلوك معنوي وادات للتكامل الروحي فيقول: ((نسأل الله تعالى ان يمنحنا التوفيق ببركة القرآن و أهل البيت عليهم السلام لأن تكون قلوبهم أوعية لمعرفة الله وأنواراً لمعرفة التوحيد، و يستقر علم التوحيد في قلوبنا لكي نستطيع بعد المعرفة التوحيدية ان نهاجر بالشكل الصحيح و نسرع في هذه الهجرة والحركة، و ننال السبق في هذه السرعة، ونصل إلى المقام الرفيع للامامة و أن يمنحنا هذه البركات في ظل ولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام)).[٨٦]

النتيجة:

حاولنا قدر المستطاع في هذه المقالة معرفة المناهج السلوكية الفردية والاجتماعية عند الشيخ جوادي الآملي لأهميتها بالنسبة للسالك والمريد حتى يكون على بصيرة من أمره في سيره وسلوكه .

وتكلمنا ايضا حول العرفان العملي الشيعي الاصيل عند عارف ومفسر وفقيه واصولي وسياسي وحكيم وهو آية الله الشيخ جوادي الآملي الذي يعتبر العين الصافية للمعارف الدينية في وقتنا المعاصر بشهادة الكل في حوزة قم المحمية من العلماء المعاصرين له وطلبته كذلك.

فمن الجانب النظري تعتبر آرائه في جميع المعارف الدينية ذات قيم عالية جدا لأن منبعه في ذلك القرآن والعترة والعقل المبرهن. لذلك جعل العرفان وسيلة لفهم القرآن والعترة وليس في قبالهما.

اما من الجانب العملي فسلوكه وافعاله يشهدان على علو مرتبته السلوكية وانه وصل الى مرتبة الفناء الافعالي على اقل تقدير. وبشهد بذلك طلابه والمقربين منه.

فمنهجه السلوكي وخاصة الاجتماعي على قدر كبير من الاهمية لطلاب الحقيقة .

هوامش البحث

(١). الآملي، جوادي، دانش وروش بندگـي، دار الاسراء، ط ٢،١٣٧٩ هـ.ش،ص٦٠-٧٠
(٢). سورة المائدة،٦.
(٣).سورة التوبة،١٠٨
(٤). الآملي، جوادي، حكمة العبادات، دار الاسراء للنشر،ط ٢٠١١،،٢ مـ،ص٧٦.
(٥). الآملي جوادي حكمة العبادات دار الاسراء للطباعة و النشر، قم، ط ٢، ٢٠١١ م، ص ١١٠-١١٣.
(٦). الآملي جوادي التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ١١، دار الاسراء للطباعة و النشر، ط ١٥، ص ١٣٩٦هـ.ش، ص ١٥٥.
(٧). الآملي جوادي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ١١، دار الاسراء للطباعة و النشر، قم، ص ١٥١-١٥٢.
(٨). العنكبوت،٦٩
(٩). المؤمنون،٦٠.
(١٠). الزمر،٢٣.
(١١). غرر الحكم،ص١٤٥.
(١٢). نهج البلاغة، الخطبة ٢٥.
(١٣). غرر الحكم،ح١٦.
(١٤). الآملي جوادي، الامام الرضا والقرآن الكريم عليه السلام، دار الصفوة للطباعة والنشر، ط١، ص٢٥٨.
(١٥). نهج البلاغة،خطبة،٩٠.
(١٦). الحشر،١٨
(١٧). الآملي جوادي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ١١، دار الاسراء للطباعة و النشر، ط ١٥، ص١٧٦.
(١٨). آل عمران،٧٦؛ مصدر سابق، ج١١،٢٠٦
(١٩). نفس المصدر،ج١١،،٢٣٧
(٢٠). الآملي، جوادي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ١١، دار الاسراء للطباعة و النشر، قم، ط ١٥، ص ٢٢٧.
(٢١). سورة ابراهيم،٢٧.
(٢٢). المجلسي بحارالأنوار،ج٧٧،ص٣٢٠
(٢٣). المجلسي بحارالأنوار،ج٦٧،ص١٨٢
(٢٤). الآملي جوادي، حكمة العبادات، دار الاسراء للطباعة و النشر، بيروت، ط ٢، ص ٦٤.
(٢٥). التوبة،١١٩

(٢٦). الآملي، جوادي، التفسير الموضوعي،ج١١، ص٢٤٨.
(٢٧). الزمر،٥٤.
(٢٨). غافر،١٣.
(٢٩). الآملي جوادي، مصدر السابق، ص ٢٥١.
(٣٠). النحل،٥٢
(٣١). الزمر،٣
(٣٢). الآملي جوادي، دانش و روش بندگـي، الإسراء للطباعة و النشر، ط ٥، ١٣٩٧، هـ.ش، ص ٥٢٥.
(٣٣) القلم،٢٩،٢٨
(٣٤) سورةمريم،٤١
(٣٥). المزمل،٥١
(٣٦). الآملي جوادي، التفسير موضوعي للقرآن الكريم، ج ١١، ص ٢٦١.
(٣٧). فاطر،٢٨
(٣٨). الرعد،٢١
(٣٩). الآملي جوادي، مصدر سابق، ص٢٨٠
(٤٠). الصحيفة السجادية،دعاء،١٢
(٤١). الآملي جوادي، مصدر سابق، ص٣٠٢
(٤٢). الآملي جوادي، مصدر سابق، ص٣٠٥
(٤٣). الآملي جوادي، مصدر سابق، ص٣٠٧
(٤٤). ق،٣٥.
(٤٥) الكهف،٢٨
(٤٦). البرقي،المحاسن،ج١،ص٩٢؛ انظر مصدر سابق،ص١٠٨
(٤٧). الآملي جوادي، مصدر سابق، ص٣٢٣
(٤٨). الآملي جوادي، دانش و روش بندگـي، دارالإسراء للطباعة و النشر، قم، ط ٥، ص ٢١١.
(٤٩). الإملي،جوادي، التفسير الموضوعي للقرآن، ج ١١،ص١١٦
(٥٠). التكاثر،٦،٥
(٥١). الإملي،جوادي، المصدر السابق، ص٣٥٢
(٥٢). المصدر نفسه، ص ٣٥٨
(٥٣). الجوادي الآملي، المصدر السابق، ص٣٦٠
(٥٤). الطلاق،٣
(٥٥). الفجر،الاية،٣٠-٢٧

(٥٦). الآملي جوادي، مصدر سابق،ج١١،ص٣٧٩
(٥٧). الآملي جوادي، مصدر سابق،ج١١،ص٣٨٠.بتصرف
(٥٨). مفاتيح الجنان، تعقيب صلاة العصر
(٥٩). الآملي،جوادي،دانش وروش بندگـي، مصدر سابق،ص٦٣٦
(٦٠). الآملي جوادي، دانش و روش بندگـي،،ص٦٣٩
(٦١). الانفال،٢٠٦.
(٦٢). الانعام،١٦٢.
(٦٣). مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية؛ مصدر سابق،ص٦٤٦
(٦٤). الآملي جوادي، التوحيد في القرآن، دارالصفوة للطباعة و النشر، بيروت، ط ٥، ١٩٩٤ م، ص ١٣٥.
(٦٥). نهج البلاغة/ فيض الاسلام/ خ ٤٢/ ص ١٢٨.
(٦٦) الآملي جوادي، التوحيد في القرآن، ص ١٣٧.
(٦٧) الآملي جوادي، التوحيد في القرآن، ص ١٣٨.
(٦٨). سورة محمد، الآية (١٩).
(٦٩). الآملي، جوادي، التفسير الموضوعي/ التوحيد في القرآن، ص١٤٠.
(٧٠) المصدر نفسه، ص١٤٠.
(٧١) الآملي جوادي، توحيد في القرآن، ص١٤٠.
(٧٢) المصدر نفسه، ص١٤١.
(٧٣) الآملي جوادي، التوحيد في القرآن، ص١٤٢.
(٧٤). سورة الأعراف، الآية (١٧٩).
(٧٥). سورة آل عمران، الآية (١٣٣).
(٧٦) الآملي جوادي، التوحيد في القرآن، ص١٤٣.
(٧٧). سورة البقرة، الآية (١٤٨).
(٧٨). سورة الحجرات، الآية (١٣).
(٧٩). سورة الكوثر، الآية (١).
(٨٠). سورة التكاثر، الآية (١).
(٨١). سورة الواقعة، الآية (١٠ و ١١).
(٨٢) الآملي جوادي، التوحيد في القرآن، ص ١٤٥.
(٨٣). سورة السجدة، الآية (٢٤).
(٨٤). سورة الأنبياء، آلآية (٧٣).
(٨٥) الآملي، جوادي،التوحيد في القرآن، ص١٤٧.

(٨٦) الآملي جوادي، التوحيد في القرآن، ص ١٤٧.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم .

١. نهج البلاغة
٢. الصحيفة السجادية
٣. مفاتيح الجنان .
٤. الآملي، جوادي، حكمة العبادات، مركز الإسراء للنشر، بيروت، ٢٠١١م، ط١.
٥. الآملي، جوادي، عمل عرفاني در پرتو وحيانى. دار الاسراء للنشر، قم، ١٣٩٦هـ.ش،ط٤
٦. الآملي، جوادي، ولاية الانسان في القرآن، دار الصفوة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٩٥م.
٧. الآملي، جوادي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،ج١١،قم،اسراء،١٣٧٧هـ.
٨. الآملي، جوادي، دانش وروش بندگي، مركز نشر اسراء، قم، ط١٣٩٧،٥هـ.
٩. الآملي، جوادي، التوحيد في القرآن، دار الصفوة للطباعة و النشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
١٠. الآملي، جوادي، تسنيم، في تفسير القرآن الكريم، دار الإسراء للطباعة و النشر، قم، ج١، ط٥، ١٤٣١ هـ.ق.
١١. الآملي، جوادي، عين نضاخ، تحرير تمهيد القواعد، دار الإسراء للطباعة والنشر، ط٣، ١٣٩٣ هـ.ش.
١٢. الآملي، جوادي، على بن موسى الرضا و القرآن الكريم، دار الصفوة للطباعة و النشر، بيروت، ط٥، ٢٠٠٩ م.
١٣. الآملي، جوادي، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ١٠، دار الإسراء للطباعة و النشر، قم، ط١٢، ١٣٩٥ هـ.ش
١٤. الآملي، جواد، طف الحياة العرفانية للإمام على، دارالإسراء للطباعة و النشر، ط ٢، ٢٠١١ م.
١٥. حمية، خنجر علي، العرفان الشيعي، دراسة في الحياة الروحية والفكرية لحيدر آملي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت،ط٢٠٠٤م.
١٦. الطوسي، نصرالدين، اوصاف الأشراف، مؤسسة بضعة المختار عليه السلام، لإحياء التراث أهل البيت عليهم السلام، قم، ط ١، ١٣٨٣ هـ. ش.